تطلعات بشرية

كلمة على سبيل التقديم والتحية

د. احمد إبراهيم الفقيه

هذا كراس صغير يقدم فيه الأستاذ عبد الله شرف الدين رجل القانون والدفاع عن حقوق الإنسان ، بعض رؤاه الإنسانية التي يريد أن يسهم بها في تحسين وتطوير الشرط الإنساني ، مستمدا هذه الرؤى من عمق تجربته الطويلة العريضة التي امتدت على مدى عمره المديد وقد تجاوز الآن العقد الثامن من عمره ، وقبل أن أمضى مع تعليقي على هذه الأفكار والرؤى أحب أن استهل حديثي إلى القارئ بهذه الأسطر التي كتبتها عندما أصدر سيرته الذاتية في كتاب صغير قلت في مقال عن الكتاب أصف الإحساس الذي روادني وأنا أقرأ سيرته :

« من دواعي استمتاعي بقراءة هذه المذكرات التي كتبها علم من أعلام ليبيا في القانون والمحاماة هو الأستاذ المناضل السياسي ونقيب المحامين الليبيين ورئيس الجمعية الدولية لمكافحة العنصرية ، عبد الله شرف الدين ، إنني أعرف كاتبها معرفة وثيقة ، وتربطني به صداقة قديمة عميقة ، وعاصرته في بعض فصول حياته ونضاله ، واثق ثقة كاملة في شهادته ، وأعرف مدى صدقه وأمانته في نقل هذه الوقائع والأحداث التي عاصرها والمنازلات والمعارك التي كان طرفا فيها ، وأستطيع أن أقول أن الدرس الذي يمكن الخروج بها من هذا المذكرات أنه يمكن للإنسان أن يعيش حياة كريمة وأن يؤمن لسرته مستوى راقيا من المعيشة ، وأن يستطيع توفير أرقى أنواع التعليم لأولاده وبناته ،

دون أن يقدم التنازلات التي نرى إناسا كثيرين يقدمونها في سبيل الاحتفاظ بالمستوى المعيشي الراقي ، بل هناك من يفرط في شيء من كرامته ومن عزة نفسه متذرعا بأنه يفعل ذلك لأن وراءه أبناء وبنات يريد أن يضمن لهم الحياة الكريمة وأن يوصلهم أعلى مراحل التعليم ، أقول : إن صاحب هذه المذكرات لم يولد وفي فمه ملعقة من ذهب ، بل ولد في بيت أسرة من عائلات طرابلس الكريمة ، تكسب قوتها بعرق جبينها ، ولم يجد في انتظاره البساط الأحمر ليمشي فوقه إلى النجاح والجاه والنفوذ ، وإنما بدأ حياته كادحا واضطر أن يعمل عاملا في مشغل للأنوال قبل أن يكمل تعليمه المتوسط ، وبالكدح والكفاح والعمل لتوفير مصاريف الدراسة واصل التعليم ، وخاض ملحمة صراع ونضال من أجل يكمل تعليمه ، وفعلا تحصل على الإجازة في الحقوق من القاهرة ، وعاد في منتصف الخمسينيات ليبدأ الحياة العملية في مجتمع يفتح أحضانه للمتعلمين ، خاصة من أكمل تعليمه الجامعي ، وكان بإمكانه أن يتبوأ أعلى المراكز الحكومية ، ولكنه رفض المراكز العالية إذا كانت ستأتي عن طريق المهادنة وتقديم التنازلات ، سار وراء قناعته ، تقوده المبادئ التي يؤمن بها ، مضحيا بالمصلحة الشخصية في سبيل المصلحة الوطنية ، وبالجاه والنفوذ والمال إذا كان على حساب المبدأ ، رغم أن هذا المبدأ قد لا يكون بالضرورة هو الصواب ، بل إنه يقول إنه في مراحل متقدمة من العمر تغيرت قناعات لديه وأفكار ، ولكنه لا يندم لتلك المصالح أو الأموال التي ضاعت ، بسبب تغليبه لذلك المبدأ أو لتلك الفكرة التي يراها اليوم فكرة يجانبها

الصواب ، بل لا يندم على أيام من العمر قضاها في السجن أو في المنفي ، لأنه رأى أن الفكرة التي آمن بها تستحق هذه التضحية ، وقد اعتمد في حياته كما يقول مقولة بسيطة تعلمها من امرأة أميّة هي والدته تقول الحكمة التي ترددها تلك الوالدة : إنه إذا كان الكذب يجلب النجاة أحيانا ، فإن الصدق يجلب النجاة في كل الأوقات ، ولهذا فلا نجاة إلا بالصدق وقول الصدق واعتماد الصدق منهجا للحياة . وهذا الصدق أنجاه دائما ، وأنجاه حقا ، وكان ثمة مهالك ومخاطر تعرض لها ، وأهوال عاشها ، وأعداء شرسون تربصوا به الدوائر ، وكان هذا الشعار ينفع بالتأكيد في الأزمنة العادية ، ومع البشر العاديين ، ولكن هل يستطيع هذا الشعار الذي يطالب الإنسان بقول الصدق دائما ويضمن له النجاه ، أن يكون صالحا حتى في الأوقات الاستثنائية ، أوقات الاحتراب أو المواجهات الساخنة ، وهل يكون صالحا في التعامل مع البشر الذين نسوا بشريتهم ، طغاة مثل الطاغية الليبي ، الذي كان كائنا له أنياب زرقاء يفترس بها ضحاياه ، هذا هو الاختبار الكبير ، والامتحان العسير ، والغريب العجيب أن صاحب المذكرات استطاع أن يعتمد الصدق حتى في هذه الأزمنة ، ومع هذا الوحش البشري ، والأعجب والأغرب أنه استطاع النجاة حقا» .

هذه أسطر رأيت ضرورة أن أعيد تذكير القارئ بها لأنها تلقي ضوءا على صاحب هذا الكراس الذي أسماه «تطلعات بشرية» ، والذي يتضمن رسالته إلى إخوته من أبناء الجنس البشري عامة وإخوته في بلده ليبيا وأقطار الوطن العربي جميعا ، لأنهم الأولى بمراعاة ما يقوله

استجابة لدينهم ، وتحقيقا للنهضة المنشودة التي ينشدها أبناء هذا الوطن بعد أن تأخروا لأسباب خارجة عن إرادتهم وتتصل بالهيمنة الأجنبية على مقدراتهم ، وسنوات الكفاح ضد الغزاة والمستعمرين ، فانقطعوا عن مواصلة التدرج الحضاري الذي كانوا صانعي بداياته ، ومؤسسي مراحله الأولى ، عندما أنشأوا دولتهم العربية الإسلامية ، التي أشعت بحضارتها وفتوحاتها في العلوم والآداب والفنون على مشارق الأرض ومغاربها .

ولم يطلق على هذه الأفكار والرؤى ، «تطلعات بشرية» ، إلا لأنها في خاتمة المطاف ، أفكار تهم الإنسان عامة ، ولأنها تتصل بقضايا مشتركة بين كافة أهل الأرض ، مثل قضية السلام ومحاربة العنصرية وتحقيق الإخاء الإنساني ، وانتهاء الصراع المدمر بين الأمم والشعوب ، مقترحا من الأفكار ما يمكن أن يسهم في خلق بيئة أكثر رحابة وعدلا وجمالا ، تليق بمجد الإنسان في عصرنا الحديث ، عصر الفتوحات العلمية التي يشيد بها إشادة الفخر والامتنان لأصحاب الفضل في إنجازها ، ويقول إنها بلغت في العقود الأخيرة حدًّا غير مسبوق في كامل التاريخ البشري ، وليس فقط في مستواها المتفوق ، ولكن في غزارتها وتواترها ، بل جاءت كأنها الغمر أو طوفان الخير والبركة والحضارة ، بحيث تحقق في قرن من الزمان هو آخر مائة عام ، أضعاف ما تحقق فيما سبق من عمر الإنسان في الكرة الأرضية .

وكما قلت في أسطر الاستهلال للأستاذ شرف الدين مداخلاته وإسهاماته ، التي لم تقتصر فقط على كتاب السيرة الذاتية له ولعائلته ،

وإنما شارك في رسم طريق الأمن والخير والعدل والسلام للإنسانية في أوراق كثيرة قدمها لمنتديات وطنية وإقليمية ودولية وتركزت جهوده منذ منتصف السبعينيات في الجمعية الدولية المعادية لكل أنواع التفرقة العنصرية ، وجاء هذا الكراس ليتضمن خلاصة الخلاصة في تطلعاته التي يريدها لإنسان هذا العصر ، مستعرضا عددا منها ، مستهلا حديثه منذ أن بدأ الكائن البشري مسيرته من خلية أولى خلقها الله هي (الأميبا) "التي أنشأها الخالق في المياه الراكدة والتي تطورت في ملايين الملايين من الأجيال والأحقاف في سلسلة مذهلة عجيبة من الصراع في سبيل الحياة ، كما نوهت إلى ذلك وأشارت إليه الكتب السماوية" . ولن أعيد استعراض الأفكار التي احتواها الكراس ، فهي كثيرة متنوعة تستهدف خير الإنسان ، إلا أن الكاتب مهما ارتقت نظرته في مدارج الصعود إلى أعلى مراتب الإنسانية ، ومهما اتسع أفق تطلعاته ، لن يستطيع أن يتحرر من قيود المكان والزمان ، فهو ابن عصره ، وابن بيئته ، وابن ظروف المكان الذي نشأ فيه ، وارتبط بمشاكله ، وعاش في حالة اشتباك نضالي مدافعا عنه ، ضد عوامل التخلف وقوى الهيمنة ، فهو بكل ما يحتويه عقله الكبير ووجدانه الرحب من احتضان للإنسانية ، يظل مشدودا إلى بعض قضايا منطقته العربية وأوصابها ونوائبها التي يراها دائما بمنظار عربي مثل نظرته لإسرائيل ، واحتلالها لأرض عربية هي فلسطين ، ونظرته لجيش الاحتلال الأمريكي أثناء غزوه للعراق وما ترتب على هذا الغزو من كوارث عاشها الشعب العراقي ، ولا بد أن آخرين في العالم لا يشاركونه هذه الرؤى الخاصة

بوطنه وقضايا أمته ، مع أنهم بالتأكيد يتفقون معه في قضايا أخرى تهم انتشار الأمن والعدل في العالم وانتهاء الحروب وتحرير الكرة الأرضية من المخاطر التي تهدد سلامتها وعافيتها .

وبدلا من مواكبة واستعراض كل القضايا التي قاربها المؤلف في هذا الكراس ، فإنني سأنتقي قضية واحدة أساسية من القضايا التي عالجها الأستاذ عبد الله شرف الدين ، لأشرح انطباعي حولها ، ولن أكتفي بعرضها واستجلاء جوانبها وإنما ساسعى للذهاب بها خطوة أبعد مما ذهب إليه أستاذنا شرف الدين ، فيما أريده أن يكون إضافة لأفكاره وإغناء لها وإثراء لما اقترحه بعقله المحب للسلام والحاني على مشاكل البشر وحل هذه المشاكل .

هذه القضية التي أجد نفسي منجذبا إلى الحديث عنها ، قبل غيرها ، وأثارها الأستاذ شرف الدين في كراسه هذا ، هي قضية السباق من أجل إنتاج وبيع وانتشار السلاح في العالم ، حيث يقول في مستهل حديثه عن هذا الموضوع : "وأشدّ هذه المعوّقات التي نشاهدها في هذه السنوات هي هذا الصراع الدموي الذي انتشر بين البشر في كل بقاع الأرض ، وأصبح هذا السلاح الناري المنتشر في كل أرجاء المعمورة من مسدسات وبنادق ورشاشات ، ثم المدافع والصواريخ والدبابات والقنابل والمتفجرات بجميع أنواعها ، نقول أصبح هو الوسيلة للتفاهم حتى بين الأخ وأخيه ، كأن البشرية قد فقدت عقلها ووسائل تمييزها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وقد حاول الكثير مما يتألّمون لهذه الأوضاع شبه المجنونة أن يوقظوا جوانب الخير والصلاح

في إخوانهم بني البشر ، وقد ساهم العبد لله في هذا السبيل بإلقاء كلمة بالخصوص في مؤسسة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة والتي تجتمع بجنيف كل سنة ، لعله من الأوفق نشرها من جديد ، ومن يدري ربما مثل هذا النداء أو الصراخ يوقظ الجانب الإنساني في بني البشر ، ولكن هل أفاد فعلا هذا النداء ، أو المحاولات المتعددة بالخصوص من بعض العقلاء في هذه الأرض ؟؟!! ، لا أظن ذلك ، ولكن لا بدّ على أي حال من الاستمرار بمثل هذه المحاولات" .

ويضيف قائلا : بأن هناك ألف مليار دولار ينفقها العالم سنويا في صناعة السلاح وتجارته واستعماله في سفك دماء البشر هنا وهناك من أرجاء الأرض .

ويقترح في خطاب آخر ألقاه في نفس المنتدى منذ العام 2002 إيقاف هذا السباق المدمر المجنون لتصنيع واقتناء السلاح والمتاجرة به ويقتبس قولا للرئيس الأمريكي دوايت أيزنهاور يقول فيه : "إن كل مدفع أخرجته المصانع ، وكل دبابة جرت على الأرض ، وكل صاروخ أطلق في السماء ، هو في المعنى النهائي السرقة الأكيدة من الجائعين الذين لا يجدون طعاما ، ومن العرايا الذين لا يجدون ما يقيهم برد الصقيع . إن هذا العالم الغارق في صناعة السلاح لا يبدد أموالا فقط ، إنه يبدد عرق العمال وعبقرية العلماء ، وآمال أطفال المستقبل" .

مع أن الكاتب في كامل هذا الكراس وربما في كل موضوع قاربه يريد به خير البشرية وإيقاف أجواء الحرب والهيمنة ثم سباق التسلح ،

إنما يتجه باللوم لأمريكا قبل غيرها ، باعتبارها هي القوة الأعظم في العالم ، وهي التي بدل أن تسخر هذه القوة للخير ومنع الأذى ، تفعل العكس ، عندما تذكي حمى الصراع ، وتدفع البشرية باتجاه الحرب بدل السلام ، وتمارس الهيمنة والاحتواء ، بدل الحرص على قيم الخير والإخوة الإنسانية .

وإذا كان الكراس توخيا لخير البشرية ، وأملا في إحلال السلام في العالم ورغبة في خلق بيئة أكثر جمالا وبهاء وإنسانية وحضارة تليق بقيمة الإنسان ووجوده ، قد أرسل دعوته لنبذ سباق التسلح ، والحد من استخدامه ، وإحلال معاني السلام بدل الحرب ، والتفاهم بدل الصراع المسلح ، وحل المشاكل بالعدل والقانون بدل اللجوء للقوة ، فإنني هنا أريد أن أدفع بهذه الدعوة خطوة إلى الأمام ، وأضع أمام هيئة الأمم المتحدة اقتراحا بإلغاء كافة أنواع السلاح ، ليس فقط السلاح النووي ، والأسلحة الكيماوية ، والجرثومية ، وإنما كافة الأسلحة المستخدمة الآن في أيدى الجيوش ، من مدافع ، وطائرات مقاتلة ، وبوارج حربية ، وغواصات ، ومتفجرات ، وألغام ، بل والأسلحة الخفيفة مثل المسدسات والبنادق ، وتقف بالتالي كل مصانع السلاح عن صنعه ، ويتم تدمير أسلحة الدمار الشامل تدميرا كاملا من كل العالم ، ولا تبقى إلا كمية محدودة فقط ، بل وتلغى الجيوش ووزارات الدفاع ، إلا في وحدات رمزية ، ويكون البديل لهذه الجيوش وهذه الترسانات من السلاح ، مواثيق شرف بين أقطار العالم ، يتم الالتزام بتنفيذها ومراعاتها ، قوامها عدم الاعتداء ، ومراعاة حسن الجوار ،

وتلعب الأمم المتحدة بهيئاتها القضائية والعدلية ومجالسها للأمن والسلام وهيئتها العمومية دور الحامي والراعي والملتزم بحماية القطر أو الشعب أو الدولة التي تتعرض لأي اعتداء ، ومن المعلوم أن العالم سيحتاج إلى سلاح ضد عصابات الإجرام المنظم ، وضد الخارجين على القانون ، وضد جماعات الإرهاب والتطرف ، وهذا السلاح يجب أن يكون موجودا ، ولكنه سيبقى في شكله المحدود ، الكافي لردع الإجرام ، وسيكون احتكارا خالصا ، لهيئة الأمم المتحدة وحدها ، التي سيكون لها وحدات تدخل سريع في كل منطقة من العالم ، ونقاط موزعة بين أقطاره لحفظ السلام ومنع الجريمة المنظمة ، وسيتم تنظيم حفظ الأمن ومكافحة الجريمة بين فرق أمن محلية وبين هذه الوحدات التابعة لهيئة الأمم المتحدة .

أدرك أن هناك من يرى مثل هذه الفكرة ، فكرة خيالية ، ولكن ما أفقر العالم ، وما أفقر الفكر الانساني ، إذا خلا العالم من الخيال ، وقد كان المفكر والفيلسوف والأديب برتراند راسل حامل جائزة نوبل الذي استحق عن جدارة فيلسوف السلام ، قد اقترح فكرة الحكومة العالمية ، لأنه كان معنيا بقضايا الحرب والسلام ، ويرى أن مثل هذه الحكومة قادرة لوحدها على فرض السلام ، وقدم أفكاره في رؤية مفصلة ، وتصور عملي ، ومع ذلك اتهمت أفكاره بالطوباوية ، وكان يقدم فكرة الحكومة العالمية كبديل لهيئة الأمم المتحدة ، ولكننا هنا وتجاوزا للمعوقات التي حالت دون تطبيق أفكار برتراند راسل وغيره من مفكري السلام ودعاة الحكومة العالمية ، نعهد بدور للامم المتحدة

في هذه القضية بالذات ، التي تلغي السلاح من العالم ، لأن الأمم المتحده في هذا الدور لن تحتاج لواحد من مائة من السلاح الموجود في العالم ، ولن تكون هناك حاجة لصرف هذا المبلغ المهول وهو ألف مليار دولار كل عام على التسليح (ولعله تضاعف في الأعوام الأخيرة) ويذهب إلى مقاصد أكثر نفعا للإنسانية بدلا من هذا المقصد الذي لا خير منه إلا الدمار والقتل .

وتحية لصديقنا وأستاذنا المفكر الليبي الحر الأستاذ عبد الله شرف الدين داعين الله أن يمده بالصحة والعافية والعمر الطويل ليقدم للبشرية مزيدا من هذه الأفكار ، التي تصب ، في كل ما ينفع الإنسان ، وينفع الحياة ، ويساهم في النماء والعمران ، وتقوية التعاون بين البشر .

مقدمة

ابراهيم محمد الهنقاري

تفضل الصديق العزيز الأستاذ عبد الله شرف الدين المحامي ورفيق النضال من أجل أمة عربية واحدة كلفها الله سبحانه وتعالى وشرفها بحمل رسالة الإسلام الخالدة إلى العالم كله ، ومن أجل ليبيا حرة ومستقلة وذات سيادة حقيقية كاملة غير منقوصة ، تفضل بتشريفي بطلب كتابة هذه المقدمة المتواضعة لكتابه الذي اختار أن يسميه "تطلعات" وهو فعلا يعبر عن تطلعات الكاتب لمعرفة الحقيقة وللحصول على أجوبة مقنعة ومقبولة للعديد من الأسئلة الحائرة التي ظلت البشرية تبحث عن الاجابات الصحيحة عنها من لدن آدم أبي البشر إلى يوم الناس هذا .

الأستاذ عبد الله شرف الدين دارس القانون والمهتم بشؤون وحقوق الإنسان كرس حياته كلها لمهمة واحدة هي الدفاع عن حرية الإنسان وكرامته ايا كان موقعه في أرض الله الواسعة . دافع عن المظلومين والعمال والمحرومين في ليبيا . دافع عن المضطهدين في دولة جنوب افريقيا العنصرية . ترأس أول منظمة دولية تابعة للأمم المتحدة تطالب بإلغاء جميع أنواع التمييز العنصري في العالم وهي منظمة "ايفورد" ومهمتها الرئيسية هي القضاء على جميع أنواع التمييز العنصري في العالم وصار واحدا من الرجال الذين كرسوا حياتهم للدفاع عن القيم الإنسانية العليا التي جاءت بها الأديان السماوية واستقر عليها فكر الإنسان المتحضر بعد سلسلة طويلة من المحاولة

والفشل قام بها أنبياء وفلاسفة ومفكرون ومصلحون عبر التاريخ البشري كله .

ومن هنا جاء اهتمامه بالبحث عن أصل هذا الكائن المسمى بالإنسان وهل جاء حقًا إلى الحياة طبقا لنظرية النشوء والارتقاء المعروفة أيضا بنظرية داروين أو أنه خلق منذ البداية كائنا متميزا ومنفردا بذاته الخاصة "بيد" الخالق الباري المصور. !؟

وقد شغلت محاولة المؤلف الإجابة عن هذا السؤال الكبير والهام وبالغ التعقيد والصعوبة جزءا كبيرا من هذا الكتاب . طرح الأسئلة عن الخلية الأولى وكيف وجدت وعن حقيقة آدم أبى البشر وعن نظرية النشوء والارتقاء وذكر العديد من الآيات القرآنية التي تتحدث عن الخلق وعن الخالق . ولكن الحقيقة تظل غائبة وسرا يتجاوز فيما أرى قدرة الإنسان جاهلا أو متعلما على فهمها واستيعابها على وجهها الصحيح . ولا يزعم المؤلف أنه قد وجد الاجابة الشافية والكافية عن هذا السؤال الصعب . بل يترك تلك الأسئلة تأخذ مجراها الطبيعي في عقل القاريء محرضا هذا القارئ على المزيد من التفكير .

ويتساءل المؤلف عن الأسباب التي تجعل الإنسان يمارس الاضطهاد والظلم ضد أخيه الإنسان . وما إذا كان دافع الشر والجريمة عنصرا أصيلا في السلوك البشري أم هو وليد التقلبات والظروف التي مر بها الإنسان عبر التاريخ !؟ .

ويجد القارئ لهذا الكتاب كيف استطاع الكاتب بأسلوبه المميز أن يستفز القارئ ويدفعه دفعا إلى التفكير في أصل الخلق وعلاقة ذلك

بالجريمة أو الاعتداء على كرامة الإنسان بصورها المختلفة . وتلك من القضايا الكبرى التي شغلت اذهان المفكرين والفلاسفة والمهتمين بأسرار الوجودين الكوني والبشري عبر التاريخ الإنساني كله .

كانت البداية كما يرويها لنا القرآن الكريم ذلك الخلاف الذي نشب بين قابيل وأخيه هابيل ابني آدم عليه السلام والذي انتهى بقيام قابيل بارتكاب أول جريمة قتل عرفتها البشرية حينما أقدم على قتل أخيه هابيل بسبب رفض الرب قبول القربان الذي قدمه قابيل بينما قبل القربان الذي قدمه هابيل وقد أقدم قابيل على ارتكاب هذه الجريمة رغم علمه بأنه لا دخل له ولا لأخيه هابيل بعملية القبول التي تعود إلى الرب وحده سبحانه وتعالى . وصدق الله القائل : "قتل الانسان ما أكفره"! .

ولعله من المفيد أن نلاحظ هنا أن الإشارة إلى الخلق قد وردت في سياق أول خمس كلمات انزلت من القرآن الكريم في سورة "اقرأ" . قال الله تعالى : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ . وهنا يقرر القرآن الكريم أن الله وحده هو الخالق وأنه ليس هناك من خالق سواه . فهل هناك علاقة بين هذه الكلمة وترتيبها بين كلمات آيات الكتاب المبين والحواس الخمس التي وضعها الله سبحانه وتعالى ضمن الأسرار العديدة والمعقدة للإنسان الذي خلقه الله من طين لازب ثم من علق فأصبح ذلك الكائن الغريب الذي خلق من علق هو ذاته الكائن الذي وصل إلى الفضاء وقام بهذه الثورة غير المسبوقة في مجالات الطب والاتصالات والمواصلات حتى أصبح الكون على اتساع مداه قرية صغيرة تسيطر عليها تلك "العلقة" !؟ .

وردت الإشارة إلى الخلق 231 مرة في القرآن الكريم مما يدل على أهمية هذه القضية . غير أنه لا يوجد مخلوق واحد من المخلوقات بمن فيهم الإنسان يعرف على وجه الدقة كيف خلق .!! قد يعرف الطب الحديث مراحل الخلق بالنسبة للإنسان وبالنسبة لبعض الكائنات الأخرى ولكن عملية الخلق ذاتها ستظل سرا من الأسرار التي لا يعلمها إلا الخالق سبحانه وتعالى . وفي هذا الكتاب يركز المؤلف الأستاذ عبد الله شرف الدين على سلوك هذا الإنسان بقدر ما يركز على اسرار خلقه .

لا شك أن القارئ سيجد بعض الإجابات في هذا الكتاب عن الأسئلة التي تدور في اذهاننا جميعا حول هذه القضية الشائكة كما سيجد نفسه حائرا بين كل هذه الأسرار التي لا يعلم حقيقتها إلا الخالق نفسه سبحانه وتعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم

تطلعات بشرية

كثيرا من الفلاسفة والمفكّرين يقولون لك : عش ليومك أو لساعتك ، فما مضى فات والمؤمل غائب وليس لك إلا الساعة التي أنت فيها ، والواقع أن هذا التوجه أو التوجيه يريح عقليا ووجدانيا الشخصية البشرية الفردية فيما يتعلق بظروف معيشة تلك الشخصية وما يلابسها من تقلبات الحياة وأجوائها حسنة أو رديئة ، ولكن هل هذا التوجه والتوجيه يتفق مع الفكر البشري وطموحات الإنسان عندما يفكر ويمعن في التفكير ليس بالنسبة لمستقبله فقط ولكن لمن حوله والبشرية بصفة عامة في السنوات أو الأجيال القادمة ؟ سواء فيما يحيط بها فوق هذه الأرض أو فيما يتعلق بهذا الكون وما يكتنفه من أسرار؟؟

إن هذا المخلوق البشري الذي انبثق من الأميبا التي أنشأها الخالق في المياه الراكدة والتي تطورت في ملايين الملايين من الأجيال والأحقاب في سلسلة مذهلة عجيبة من الصراع في سبيل الحياة ، كما نوهت إلى ذلك وأشارت إليه الكتب السماوية المقدسة ، وذكر تفصيلاتها بعض الكتاب والفلاسفة ومنهم الأديب المؤرخ H.G.WELLS في كتابه «معالم تاريخ الإنسانية» ، إننا حينما ننظر إلى هذه الرحلة العجيبة المذهلة التي اجتازها المخلوق البشري في هذه الملايين من الأحقاب ، وما لابسها من ملابسات ، وكيف أن هذا التطوركان بطيئا في أول الأمر ثم قد قفز

قفزات سريعة عجيبة في السنوات الأخيرة ، لا شك أنه سيسودنا التعجب والذهول ، فالبشرية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، بالكاد عرفوا المحركات والطاقة الكهربائية ، ولم ينقض القرن العشرين حتى تعرّف الإنسان على الراديو والتلفزيون ومن بعد ذلك الهواتف المنقولة والوصول إلى القمر والمريخ ، بل واستخراج مخلوق آخر من خلية من خلاياه كما حصل بالنسبة للنعجة (دولي)! ، وهكذا العلم والاختراع البشري صار يقفز قفزات صاروخية مذهلة وعجيبة وتوحي بأننا مقبلون في السنوات والعقود القليلة القادمة على عالم بشري عجيب ومذهل لا يكاد يصدّقه العقل . وقد قال أحد المؤرخين ، وأظنه ويلز نفسه على ما أذكر ، إننا لو اختصرنا كل تاريخ هذه الأرض التي نعيش على سطحها إلى أربعة وعشرين ساعة ، فإننا نجد العشرين ساعة الأولى كانت الأرض موات خالية من الحياة لا ماء ولا شجر ولا نبات ولا مخلوقات متحركة ، وإنما هي كتلة نارية متحركة في الفضاء ، تم صارت تبرد شيئا فشيئا ، وفي الساعة الواحدة والعشرين انفجرت بها الزوابع والأعاصير والأمطار الهاطلة باستمرار حتى تكونت البحار والبرك والأنهار ، وفي الساعة الثانية والعشرين انتشرت في هذه الأرض مختلف انواع الحشائش والنباتات والخضر والأشجار والغابات ، وفي الساعة الثالثة والعشرين بدأت تتكون المخلوقات الحية ، في بادئ الأمر في البرك والأنهار ومن ثم في البحار ، وشيئا فشيئا إلى المخلوقات التي تعيش بين الماء واليابسة مثل التماسيح والضفاضع والسلاحف ، ومن بعد ذلك إلى الطيور ثم

الحيوانات التي تمشي على أربع ثم المخلوقات التي تمشي على اثنين ومن ثمّ المخلوق البشري ، الذي عاش في الغابات على الصيد والصراع مع الحيوانات المفترسة لآلاف السنوات ، وفي الساعة الثالثة والعشرين وثلاثين دقيقة عرف هذا المخلوق الزراعة وتربية المواشي ، وبعد ذلك بخمسة عشر دقيقة اتجه إلى الصناعة بجميع أنواعها التي هدته شيئا فشيئا إلى الطاقة والمحركات ومنها إلى السيارات والطائرات والصواريخ قبل الخمس دقائق الأخيرة من الأربع وعشرين ساعة ، وفي هذه الخمس دقائق توصل إلى الكهرباء ومن ثمّ إلى الطاقة النووية ومنها الوصول إلى القمر والمريخ ، والاكتشافات العلمية المبهرة مستمرة ، فماذا بعد ذلك يا ترى ؟؟!!

إن هذه الصورة الفلكلورية المبسّطة تبرز لنا كيف حصل التطور على سطح هذا الكوكب ، فقد كان بطيئا جدا في بادئ الأمر ثم بعد الأحقاب المتلاحقة أي بعد ملايين القرون والأحقاب من الجفاف ، استطاعت البشرية في أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين من ميلاد المسيح أن تصل بهذه السرعة المتلاحقة إلى كل هذا التقدم العلمي المذهل ، فماذا يمكن أن يحصل قبل نهاية القرن الحادي والعشرين ونحن الآن في أوائله ، أكتوبر 2015 ؟؟!!

المتوقع حصوله قبل نهاية هذا القرن بناءا على القفزات السابقة التي تقدمت بها البشرية ، هو تطوير تجربة النعجة دولّي وتكرار ولادة المخلوق الحيّ من احدى خلاياه ، وفي اعتقادي أن العلماء قد اوقفوا هذه التجربة نظرا لازدحام الكرة الأرضية بالبشر الأمر الذي جعل

بعض الدول تلجأ إلى التشريعات المانعة لإنجاب أكثر من طفلين لكل أسرة ، فالزحام في هذه الأيام الأخيرة أصبح أمرا لا يطاق ، فالزحام في كل مكان ، في الشوارع والمطارات ومحطات وسائل النقل والطرق مقتظة بالسيارات في كل اتجاه الأمر الذي جعل البعض يفضّل السير على الأقدام لأنه سيصل إلى مبتغاه أسرع مما لو قصده بسيارته !! .

وهذه الأوضاع لا شك أنها ستدفع المفكرين والعلماء إلى البحث عن كيفية الخروج من هذا المأزق المربك ، وليس هناك من وسيلة أو حلّ لهذا الوضع الصعب غير أن ينتقل الجسم البشري كما تنتقل صورته في التلفزيون !!! هل هذا يمكن أن يحصل ؟؟ ليس هناك شيء فكّر فيه الإنسان إلا واستطاع تحقيقه بإرادة الخالق جلّ وعلا ، طال الزمن أو قصر ، فإذا تحقّق ذلك بإذنه تعالى فممّا يترتب عنه حتما أنه سيسهل على المخلوق البشري الانتقال بين السدم والكواكب بسهولة فائقة وبالتالي سيخفّ الازدحام الأرضي ويستفيد الإنسان بما في الأجرام السماوية الأخرى من إمكانيات وخيرات وبالتالي يعيش فيما يشبه الجنة التي وعد الله جلّ وعلا بها عباده الأبرار . ولا يستبعد بعد هذا التقدّم المبهر أن يستعيد آبائه وأجداده عن طريق خلاياه التي يحملها ، والله على كل شيء قدير . أن هذا يجرّنا إلى التفكير ، هل الجنة التي وعد الله بها عباده الأبرار هي كما يرى البعض جنينة واسعة ليس لها حدود وظلالها وارفة في كل مكان ، وأشجار فاكهتها تحيط بك من كل جهة ، وأنت جالس تحت أحد أشجارها أو قصورها خالدا لزمن لا حدود له ، وليس عليك إلا أن تطلب ما تحبه وتشتهيه

فيكون لديك في التوّ واللحظة ، من مأكول وملبوس وعاطفي ؟؟؟ هذا ما يعتقده الكثير الكثير من الناس وبالأخص الفقهاء ورجال الدين ، ولكن أليس هذا الوضع لزمن غير محدود يمكن أن يؤدّي إلى السأم والملل إذا كنا بنفس وضعنا البشري الحالي ؟؟ هذه وجهة نظر ، ووجهة النظر الأخرى ، أن الجنة كما يفكّر البعض الآخر ، هي ذلك الوضع الذي سبق الإشارة إليه بالانتقال بين الكواكب والسدم في لمح البصر وتحقيق غاية الخالق جلّ جلاله بالجنة الموعودة ؟؟ إنها تهويمات الله أعلم بما فيها من صواب أو خطأ ، فإن كانت صوابا فإن المصيبين يرجون الجزاء الأوفى ، وإن كانت خطئا فإن المخطئين يبتهلون إلى الله أن يغفر لهم تهويماتهم إنه غفور رحيم ، وقد جاء في المأثور «إنه من اجتهد وأصاب فله أجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد» .

إن هذه التهويمات أو الأماني التي يحلم بها الإنسان لها معوّقات تقف في طريقها وتعرقل مسيرتها ، وأشدّ هذه المعوّقات التي نشاهدها في هذه السنوات هي هذا الصراع الدموي الذي انتشر بين البشر في كل بقاع الأرض ، وأصبح هذا السلاح الناري المنتشر في كل أرجاء المعمورة من مسدسات وبنادق ورشاشات ، ثم المدافع والصواريخ والدبابات والقنابل والمتفجرات بجميع أنواعها ، نقول أصبح هو الوسيلة للتفاهم حتى بين الأخ وأخيه ، كأن البشرية قد فقدت عقلها ووسائل تمييزها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وقد حاول الكثير مما يتألمون لهذه الأوضاع شبه المجنونة أن يوقظوا جوانب الخير والصلاح في إخوانهم بني البشر ، وقد ساهم العبد لله في هذا السبيل بإلقاء كلمة

بالخصوص في مؤسسة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة والتي تجتمع بجنيف كل سنة ، لعله من الأوفق نشرها من جديد ، ومن يدري ربما مثل هذا النداء أو الصراخ يوقظ الجانب الإنساني في بني البشر ، ولكن هل أفاد فعلا هذا النداء ، أو المحاولات المتعددة بالخصوص من بعض العقلاء في هذه الأرض ؟؟!! ، لا أظن ذلك ، ولكن لا بدّ على أي حال من الاستمرار بمثل هذه المحاولات .

بسم الله الرحمن الرحيم

ستنتصر الشعوب على القيادات العنصرية الجاهلة بتاريخ الإنسانية

سيدي الرئيس .

ألف مليار دولارا ، وأكرر أيها الأخوة الحضور ، ألف مليار دولارا ينفقها العالم سنويا في صناعة السلاح وتجارته واستعماله في سفك دماء البشر هنا وهناك من أرجاء الأرض . ولا بد لنا أن نتساءل لماذا يأتي جنود مزوّدين بهذه الأسلحة الفتاكة المهلكة من مسافات تصل إلى آلاف الأميال ليقتلوا ويذبّحوا إخوانهم في البشرية ، ويدمروا مساكنهم ومزارعهم وممتلكاتهم وينشروا في أرضهم فسادا وظلاما وأحزانا ؟؟!! ، كما حصل من أمريكا بهجومها على العراق في هذه السنوات الأخيرة . ونكرر تساؤلنا ، والذي لا شك أنه تساؤلكم أيضا أيها الأخوة ، لماذا تحصل كل هذه المآسي في القرن الحادي والعشرين حيث يفترض المنطق والعقل أن الإنسانية قد بلغت نضجها ، وأن هذا الكوكب قد أصبح قرية صغيرة يكاد الناس جميعا يعرفون بعضهم بعضا ، بما حقّقه لهم العلم من وسائل الاتصال والمواصلات ، من راديو وتلفزيون وطائرات وصواريخ ثم وسائل الإنترنت الذي صار الوسيلة المبهرة للتعارف وتبادل الأفكار بين البشر .

قالوا لنا يا سيدي الرئيس إنهم يحاربون الإرهاب !!! الإرهاب الذي لا بدّ أن يقتلع من جذوره ، وهذا هدف جدير بالاهتمام

والرعاية ، ولكن أين هي في رأيهم هذه الجذور الإرهابية ؟؟؟ !! إنها فيما تسوّل لهم أنفسهم المريضة هو في هذه المنطقة التي هي مركز وبداية قيام الحضارات من كلدانيين وآشوريين وبابليين والفراعنة ، وانبعاث الرسالات السماوية موساوية ومسيحية وإسلام !! ، أي المنطقة العربية !! أليس هذا قصدهم ؟؟ ولكن هل ذلك صحيح ؟؟؟ إن الحقيقة الحقّة أيها الأخوة الحضور تكذّب هذا الادعاء الفاجر ، فالواقع والحقيقة الناصعة أن كل هذا الذي يجري هو طفح العنصرية والتمييز العنصري ، إنها السموم المنبعثة من مستنقع العنصرية وما تبثه في النفوس الضعيفة الجاهلة من غطرسة واستعلاء وشرور .

إن الإجابة الصحيحة الصادقة ، أيها الإخوة الحضور ، على تساؤلاتنا هي العنصرية المقيتة المنبعثة من جهل بعض قادتنا في العالم بحقيقة تطور البشرية ، وأن جميع الشعوب والأجناس والأديان والاتجاهات قد شاركت في التقدم العلمي والحضاري الذي نعيشه اليوم .

إننا نعتقد يا سيدي الرئيس ، إن قادتنا في هذا العالم ، وخصوصا الأقوياء منهم في أمريكا وبعض دول أوروبا ، لو كانت لهم علاقة بالتاريخ البشري ، لو كانت لهم علاقة بابن خلدون ، وويلس ، وليبون ، وديورنت ، من أفذاذ كتاب التاريخ ، لكانت مواقفهم غير هذه المواقف الدامية التي تقطر شرّا وهلاكا ودمارا لأنفسهم ولإخوانهم في البشرية ، ولكانت هذه الآلاف من المليارات التي تنفق سنويا على صناعة السلاح وتجارته واستعماله ، لكانت

أنفقت في بناء ملايين المدارس وتوظيف ملايين العاطلين ، ولكانت محكمة العدل الدولية قد أعطيت الفاعلية والقوة حتى تزيل هذه الصراعات المتوطنة في البعض منّا من أيّام صراع الغابة .

إننا يا سيدي الرئيس نحلم بذلك اليوم الذي تفيق فيه هذه القوّة العظمى التي في أيدي العالم الغربي وبالأخص في أمريكا وتدرك أن الإرهاب لا يمكن إزالته من أرجاء العالم بإرهاب أشدّ عنفا وظلما وشرّا ، إن للناس انفعالاتها وردود فعلها ، وأن ما يجري في فلسطين والعراق وأبي غريب وقواتنامو لا بد أن يشعل نار الغضب المتأجّج في نفوس هذا الشباب الجامح حيث يتعذر السيطرة عليه وعلى ما يمكن أن تؤدّي به انفعالاته وجموحه وردود فعله . إن الإرهاب أينما كان مكانه أو زمانه يمكن إزالته وإيقافه بكل تأكيد وذلك بالعدل والإنصاف والحفاظ على كرامة الإنسان ووصول الحقوق إلى أصحابها المظلومين المكلومين .

كيف بالله عليكم أيها الإخوة الحضور ، أن يقبل العقل والمنطق والضمير أن تبقى مشكلة فلسطين أو بالأحرى مأساة فلسطين أكثر من نصف قرن دون أن يجد لها المجتمع البشري والقوى العظمى في هذا العالم ، الذي يدعي التقدم ، الحلّ العادل المنصف الذي يرجع المظلومين المنكوبين إلى ديارهم ومزارعهم وأملاكهم ، تلك الأرض التي عاشوا فيها وفي ترابها آلاف السنين ؟؟!! كيف يقبل العقل والمنطق والشعور بالمسئولية أن تقف الإدارة الأمريكية ، هذه القوة العظمى ، ضد حكم أصدره أربعة عشر قاضيا من محكمة العدل الدولية في

موضوع الجدار العنصري في أرض فلسطين ، حيث الأولى أن تقوم بتنفيذ هذا الحكم بهذه القوة التي تتبجح بها وتعيث بها في الأرض فسادا .

إننا نؤمن على أي حال ، يا سيدي الرئيس ، أن الشعوب لا بدّ أن تنتصر في آخر الأمر على هذه القيادات العنصرية الجاهلة المتغطرسة من أمثال بوش الكبير والصغير ، وأن الشعب الأمريكي العظيم لا بدّ أن يصحو في يوم قريب ويأتينا بلنكولن أو واشنطن أو نلسن جديد .

شكرا سيدي الرئيس
عبد الله شرف الدين
جنيف مارس/أبريل 2006
إيفورد / EAFORD

إن التساؤل الذي لا بدّ أن يرد على ذهن أي إنسان ، بناء على ما تقدم ، هو لماذا كل هذا الصراع الدموي المستمرّ والذي لا يتوقف كل هذه الأجيال والقرون ؟؟ إنه تساؤل يرد على الكثير من الناس وخصوصا المفكرين والذين يهتمون بمستقبل البشرية ، والذي يبدو بالفحص والتدقيق أن هذا المخلوق البشري قد نشأ وعاش طوال حياته وتواجده في هذه الأرض في صراع دائم لا يفتر ولا يكلّ ، أولا مع الحيوانات المفترسة في الغابات أو مع نظرائه من المخلوقات حول البرك ومنابع المياه ، وكانت أداته في هذا الصراع القديم إمّا الأحجار والصخور ، أو الدبابيس التي يتحصل عليها من أغصان الشجر ، ثم عند أول اكتشاف مصادر مادة الحديد صار يستعمل السيف والرمح والقوس والنبال ، وعند اكتشافه البارود وأنواع المتفجرات صارت أدواته المهلكة الماحقة تبتدئ من البندقية والرشاش إلى المدافع والدبابات والطائرات والصواريخ إلى القنابل الذرية !!!

فما هي الوسيلة أو الوسائل لإيقاف هذه التوجهات المدمرة المهلكة التي تقف عقبة كأداء في طريق تقدم البشرية والوصول إلى الجنة الموعودة ، ما دام هذا التوجه الشيطاني متغلغل في الكيان البشري بحكم نشأته وتطوره كما سبق أن ذكرنا ؟؟؟

إن البشر في حيرة بين الماضي والحاضر والمستقبل ، أن الكثير من الناس يقولون – يا أيام زمان ؟! – باعتبار الماضي أحسن من الحاضر ، وهم يتشاءمون من المستقبل ، ولكن هذه النظرة التشاؤمية الغارقة في السطحية والمفتقرة لرواية التاريخ البشري ، هي في الواقع غير صائبة .

أن النظرة الصحيحة المتعمّقة في التاريخ الإنساني والمغمورة بالتفاؤل ، تدلنا دلالة واضحة أن المستقبل أحسن من الماضي أو الحاضر ، وأن الإنسانية بالرغم من بعض الكبوات التي مرت بها وتمرّ بها ، كما سبق القول ، هي في تقدم مستمر ، ويكفي للدلالة على ذلك ما ذكره التاريخ من وحشية الإنسان في القرون السحيقة الماضية ، حيث كان لا يخجل من وضع أخيه الإنسان في الخازوق !!! أو يصلبه ، بأن يضع مسامير في يديه على شجرة أو حائط ويبقى هكذا معلقا ينزف إلى أن يموت بعد ثلاث أو أربعة أيام من العذاب المرير ، ثم هناك في تلك الأيام ما أشدّ وأنكى وهو أن يغمر جسم الإنسان في الطين ويترك رأسه عاريا ويغدّيه بالأطعمة ولو غصبا بقصد أن يتبرّز وهو في هذه الحالة ، الأمر الذي يترتب عنه أن تنتشر حول جسمه المغمور في الطين ، أنواع الديدان الناتجة عن التبرز ، تنهش جسمه يوما فيوما في عذاب مستمر لمدة طويلة حتى يدركه الموت!!! وكان السلاطين والحكام ينفردون بالسلطة وفي أغلب الأحيان كانوا يستعملونها حسب مزاجهم وأهوائهم والسياف دائما بجانبهم ليقطع رقاب من ترميهم الأقدار لغضب هؤلاء السلاطين والحكام . هذا ما كان يحصل فعلا في القرون الماضية من تعذيب الإنسان لأخيه الإنسان ، كما ذكرت كتب السير والتاريخ . أن هذا المخلوق البشري والحمد لله قد اجتاز هذه المرحلة الغارقة في الوحشية والظلمات ، ولكن ويا للأسف صار يزاولها بهذه الطريقة الأخرى ، التي تبدو للبعض أنها دفاع عن المصالح الوطنية أو العقائدية ولكن كانت نتائجها أشد فتكا وتدميرا على البشرية ، بما توصل إليه

العلم من وسائل السلاح المدمر الماحق . فكيف الخروج من هذا المأزق الخطير؟؟؟

ربما كانت إحدى الوسائل الناجحة في هذا السبيل هي إيقاف هذا السباق المزري الغارق في الوحشية وعدم الشعور بالمسئولية من حيث إنتاج السلاح بأنواعه المختلفة والتسابق في إيجاد الوسائل المتعددة لإقبال الدول والجماعات على تكديسه لديها للدفاع أو الهجوم ، كما يتوهمون وبالتالي انتشاره وضياع إمكانيات البشرية في هذه السبل الجنونية . وقد سبق لنا أن خاطبنا مجلس حقوق الإنسان بجنيف كما كتبنا إلى أمين عام هيئة الأمم وإلى رئيس مجلس الأمن نقترح بإصدار قرار دولي بتحريم إنتاج السلاح الهجومي بجميع أنواعه . ننشر تلك الرسالة والكلمة من جديد لعل في ذلك ما يفيد .

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الرئيس

كل مدفع أخرجته المصانع ، وكل دبابة جرت على الأرض ، وكل صاروخ أطلق في السماء ، هو في المعنى النهائي السرقة الأكيدة من الجائعين الذين لا يجدون طعاما ، ومن العرايا الذين لا يجدون ما يقيهم برد الصقيع . إن هذا العالم الغارق في صناعة السلاح لا يبدد أموالا فقط ، إنه يبدد عرق العمال وعبقرية العلماء ، وآمال أطفال المستقبل .

هذه الكلمات الرائعة قد قيلت مند أكثر من نصف قرن من أعظم رئيس عرفته الولايات المتحدة الأمريكية هو السيد ديوت أيزنهاور ، هذا الرجل الذي عرف الحروب واكتوى بنارها وعرف ما جرته على البشرية من دمار ومآسي وآلام ، باعتباره أحد القادة العسكريين في الحربين العالميتين الأولى والثانية .

إن الواقع الذي تؤكده الإحصائيات الموثقة تنبئ بأن البشرية تبدد ثلث مجهودها في صناعة السلاح وتجارته وتكديسه في سباق هستيري ليس له حدود ، الأمر الذي أدى إلى أن يعيش ثلثي العالم في فقر مدقع ، جعل آلاف الأطفال يموتون جوعا كل يوم ، ولنا أن نتصور لو أن هذا المجهود قد صرف في صناعة المحراث وبناء المدرسة وتهيئة المعلم ومكافأته بما يستحق من تكريم كيف يمكن أن يؤدي ذلك إلى زوال الفقر وذهاب الأحقاد وانتعاش التوازن والصفاء بين الشعوب .

سيدي الرئيس

لقد ذكرنا أكثر من مرة أن العنصرية والتمييز العنصري في أصلها العرقي أو الديني أو اللوني بالرغم من تواجدها في أعماق النفس البشرية وخصوصا في العالم الغربي ، قد بدأت تنحسر شيئا فشيئا عن العالم وبدأ يحل محلها التمييز على أساس الأغنياء والفقراء والشعوب المرفهة والمسحوقة ، المتقدمة والمتخلفة ، وبمعنى واسع الشعوب المنتجة للسلاح والشعوب التي تدفع لشرائه واستعماله .

إن السلاح قد اخترعه الإنسان الأول في عصور الغابة السحيقة من الحجر المنحوت أو العصا المبراة وذلك للدفاع عن النفس ضد الحيوانات المفترسة أو للحصول على الغذاء ، ولم يكن أبدا وسيلة للاعتداء على الآخرين . فكيف يمكن أن يكون السلاح الذري اليوم والكيميائي والبيولوجي والطائرة التي تلقي أطنان القنابل على البشر والمدافع البعيدة المدى والصواريخ مخترقة القارات سلاحا للدفاع في هذا العصر الذي نسميه بعصر التقدم والحضارة ؟!! إن البشرية يجب أن تخجل من نفسها إنها انحدرت هذا الانحدار السحيق .

لا شك أن هناك محاولات جادة ومتواصلة في العقود الأخيرة للحد من سباق التسلح ، وهذه ظاهرة إيجابية كان يجب أن تشجع لو كان الإعلام العالمي يديره المفكرون والعلماء ومنظمات حقوق الإنسان ، ولكن الإعلام اليوم للأسف يديره ويسيطر عليه تجار السلاح والمروجون له وأقطاب صناعته في أنحاء أوروبا وأمريكا ، ومنهم (مردوخ) الصهيوني أمبراطور الإعلام في كل العالم .

سيدي الرئيس

لقد حصلت حادثتان في القرن السابق لهما معناهما العميق في هذا الصدد ، أولاهما اتفاق دول عصبة الأمم بعيد الحرب العالمية الأولى بتحريم استعمال الغازات السامة التي استعملت في أواخر تلك الحرب ، وقد التزمت جميع الدول بهذا التحريم حتى اليوم . والحادث الثاني هو تغيير جميع الدول تقريبا اسم (وزارة الحربية) التي كانت سائدة في السابق إلى اسم (وزارة الدفاع) حيث يعتبر ذلك استجابة لكراهية شعوب العالم للحروب ووسائلها وأدواتها ، وهي دعوى صريحة وواضحة بأن أسلحة الدولة وجيوشها يجب ألا تكون إلاّ للدفاع فقط . من هذه النقطة كان من الممكن تقسيم السلاح إلى سلاح دفاعي يعطى صفة المشروعية ، وسلاح هجومي يجب اعتباره غير مشروع . ومما لا شك فيه أن لجان الأمم المتحدة وخبراءها لن يعجزوا عن تحديد نوعي السلاح . وكما نجح المجتمع البشري في تحريم الغازات السامة في أوائل القرن الماضي ، في إمكانه أن ينجح في تحريم السلاح الهجومي غير المشروع اليوم ، ومع إيماننا بصعوبة تحقيق هذا الهدف النبيل فلا بد من بذل جميع المحاولات في هذا السبيل . من الممكن أن تكون إحدى هذه المحاولات هي منع الطاقة اللازمة لصناعة هذا السلاح الشرير ، ومن حسن الحظ أن الدول التي تنتج الطاقة مثل الغاز والسولار ، لا تصنع السلاح ، وبالتالي فإن دول الاوبك في إمكانها ، وسيكون الرأي العام العالمي معها ، أن تحجب الطاقة من غاز وسولار وغيرهما عن الجهات صانعة هذا السلاح الهجومي الشرير .

سيدي الرئيس ، قد يبدو هذا الاقتراح ساذجا أو حتى مضحكا ولكن لنا العزاء فيما قاله الفيلسوف شوبنهاور : كل الحقائق في هذه الحياة قد تمر بثلاث مراحل ، يستهزأ بها في المرحلة الأولى ، ثم تحارب بعنف وقسوة في المرحلة الثانية ، ثم تصبح حقيقة واقعة ومنفذة في المرحلة الثالثة .

شكرا سيدي الرئيس
عبد الله شرف الدين
أغسطس 2002 جنيف
إيفورد / EAFORD

إن هذا النداء أو الصراخ لم يأت بأية نتيجة أو استجابة حتى الآن ، والجميع سادرون في غيّهم ، فمتى يا ترى تستيقظ البشرية وتقضي على مثل هذه الآفات ؟؟؟؟

إن المجتمع البشري في العالم يساوره بعض الإحساس بالأسباب الجوهرية الدافعة لهذه الآفات التي يتكبدها ويعانيها ، فقد قامت إحدى المؤسسات التابعة لمنظمة حقوق الإنسان باستفتاء عام في مناطق أوروبا بأسرها في أوائل هذا القرن ، يتضمن هذا الاستفتاء بعض الأسباب التي تخيلتها المؤسسة المذكورة بأنها السبب الرئيسي في ما يعانيه المجتمع البشري من آفات الحرب والدمار ، وكانت نتيجة ذلك التصويت والاستفتاء أن 65% من الشعوب الأوربية التي قامت بالتصويت ترى أن السياسة الأمريكية وطموحات إسرائيل والصهيونية العالمية هي الأسباب الرئيسة لتلك المعاناة والآفات ، وقد ذكر ذلك أيضا أحد الكتاب الفرنسيين هو الكاتب والأديب العالمي روجيه جارودي (Roger Garaudy) في كتابه (أمريكا طليعة الانحطاط) صفحة 78 حيث قال في هذا الكتاب وهو يشير إلى ما كتبه أيضا أحد زملائه المعروفين (... والحقيقة أن السياسة الأمريكية هي سياسة موجّهة عن بعد عبر جهاز (للتحكم) من جماعة ضغط أو لوبي ، وهو اللوبي الإسرائيلي داخل الولايات المتحدة الأمريكية والذي أسمته النيويورك تايمز New York Times اللوبي الأكثر فاعلية .... والذي يتمتع بنفوذ هائل بالنسبة للسياسة الأمريكية في الشرق الادنى .

وأكدت النيويورك تايمز بأن هذا اللوبي يتمثل في 45 سيناتورا على الأقل في مجلس الشيوخ الأمريكي في الكنجرس إلى جانب 200 نائبا من بين 435 نائبا في مجلس النواب . واليهود الأمريكيون الذين يمثلون 2% من السكان في أمريكا يمثلون في الواقع الأغلبية من أثرياء أمريكا المستعدين لدفع ثمن الآراء المؤيدة لإسرائيل ، من خلال لجنة العلاقات العامة (الأمريكية - الإسرائيلية) التي أعدّت في عام 1987 مبلغ تسعة وستون مليون دولار لهذا الغرض . (جريدة وول استريت في 24 من يونيو 1987) . هذه لمحة بسيطة مما ذكره روجيه جارودي في كتابه سالف الذكر حيث ذكر مئات الوقائع التي تثبت انحطاط السياسة الأمريكية بسبب انحيازها الظالم لإسرائيل .

وقد قال السيناتور مكلوسكي في محاضرة بواشنطن في أواخر السبعينات ، كنت أحد حاضريها ، قال :- ما هي الأسباب لما تتورط فيه السياسة الأمريكية من مواقف مخجلة من الناحية المنطقية والإنسانية ، وخصوصا سياستها في الشرق الأوسط ؟؟ إن الولايات المتحدة دولة ديموقراطية لا شك ولا ريب ، ولكن قد استغل هذه الديموقراطية 2% من الشعب الأمريكي وأنتم تعرفونهم .. أصحاب البنوك ومصانع السلاح والمسيطرين على الإعلام ، ذهبو بها هذا المذهب المنحط المشين تأييدا لدولة اسرائيل . والذي دفع هذا السنتور السابق إلى قول هذه الحقيقة إنه عندما كان عضوا فاعلا في الكنجرس ، كانت مواقفه بالنسبة للشرق الأوسط وقضية فلسطين فيها نوع من الحيدة والتبصر والصدق الأمر الذي لم يرض عنه الصهاينة وبالتالي

دفعوا بالمؤسسات الصهيونية في أمريكا لأن تنتقم منه والحيلولة دون نجاحه في انتخابات تجديد عضويته في الكنجرس .

هذه هي الصورة المقلقة التي تعيش تحت غيومها البشرية في جميع أنحاء الأرض في القرن الحادي والعشرين والتي تشير في غموض بإمكانية قيام حرب عالمية ثالثة قد تستخدم فيها القنابل الذرية والتي قد تؤدي إلى نهاية هذا العالم . كل هذه الأخطار التعسة المظلمة تاتي من وراء طموحات إخواننا اليهود ومؤسساتهم الصهيونية والماسونية ، وهم على كل حال – شئنا ام أبينا – اخواننا في البشرية ولكنهم جنحوا إلى اسوأ النوازع البشرية . وقد اشار إلى ذلك ربّ هذا الكون في كتابه الكريم في سورة المائدة الآية 82 ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ . وهذه الآية تعطي صورة واضحة وعميقة بما يفعله الصهاينة في انحاء العالم وبالأخص في المنطقة العربية ، فكيف يمكننا معالجة هذا الموضوع الشائك الخطير ؟؟ إن الخالق جلّ وعلا قد وافانا في كتابه الكريم في الآيتين 34و35 من سورة فصّلت بقوله : ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ ، كما قال جلّ جلاله في موقع آخر ، الآية 69 من

سورة المائدة : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. فاليهود الذين انبثقت منهم دولة اسرائيل الظالمة الظلومة والصهيونية العالمية التي هدفها الأساسي هو الإساءة إلى العروبة والإسلام في سبيل طموحاتها واهدافها الشريرة ، لا شك أن فيهم اناس يخافون الله وينشدون الخير لبني البشر جميعا ، من هؤلاء الرباي ألمر بيرقر Elmer Berger صاحب ورئيس مؤسسة (إجاز/ AJAZ) في أمريكا والمتخصصة في محاربة الصهيونية واليهود المتطرفين والدعوة إلى تعاليم التوراة ، وهذا الرجل العظيم قد انضم إلى مؤسستنا (إيفورد/ EAFORD) المتخصصة في مكافة العنصرية وغيره كثير ، وهؤلاء يجب تشجيعهم على الخط الإنساني والمشاركة الفعّالة في إيقاف ظلم وظلمات اخوانهم التابعين للتخطيط الصهيوني العنصري ، فما هي الطريقة التي يجب أن نتخذها في حماية أنفسنا وردّ الاعتداءات الموجّهة إلينا من الصهاينة وأتباعهم ؟؟؟

إن الطريقة التي سار على منوالها شبابنا الجامح كرد فعل لما تعانيه أمتنا من هذه الظلمات البشعة الواردة من العالم الغربي الواقع في حبائل ومؤامرات الصهيونية العالمية ، وبما يقوم به هذا الشباب الجامح من التفجيرات الانتحارية في الأوساط الغربية والتي تشمل الطالحين والصالحين ، والأبرياء والمسيئين ، فهذه الطريقة الانفعالية لا تزيد ممّا نعانيه من ظلم وظلمات العالم الغربي إلا سوءا ومشقة ، فهذه

التفجيرات توسم العالم العربي والإسلامي بالإرهاب المدان عالميا ، ولن تكون نتيجتها إلا ازدياد الظلمات التي نتكبدها ، ذلك أنها تدفع حسب الطبيعة البشرية ، حتى الصالحين والمحايدين في العالم الغربي إلى النقمة والغضب ضدّنا والانضمام إلى الفئة الظالمة . إن دستورنا القرآني قد نبّهنا إلى كل ذلك في الآيات 34 و35 من سورة فصّلت في وضوح كامل ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ . إنها نداء ربّاني لتوجيهنا التوجه الصحيح ، في كيفية التعامل مع من يعادينا ويبغي الفتك بنا وبمصالحنا ، إن هذه القاعدة القرآنية المقدسة قد نفذت في الكثير من الوقائع التاريخية وكانت النتائج دائما رائعة مبهرة وفي مصلحة المظلومين والمعتدى عليهم .

إن هذه الآيات الكريمة قد نفّذت مثلا في الهند ضد الاستعمار البريطاني ، كما نفذت في جنوب أفريقيا ضدّ الآبرتايد ، وقد نجح هذا التوجه نجاحا حاسما باهرا في كلا المنطقتين ، ففي الهند عن طريق الزعيم الخالد الرائع المهتما غاندي ، وفي جنوب أفريقيا عن طريق زعيم السود ، نلسن منديلا .

إن شبه القارة الهندية قد كانت تزخر بتعداد سكاني شديد الاتساع في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كما كان شعبها يرزح تحت أثقال الفقر المدقع والتخلّف الشديد ، إلى درجة أن صار أولئك التعساء يقعون موتى في الشوارع جوعا وبؤسا ، مع أن

أرضها كانت تزخر بالإمكانيات والثروات الطبيعية المغرية ، وهذه الأوضاع قد دفعت بأطماع الرأسماليين ورجال الصناعة الغربيّين وخصوصا صناعة النسيج الذين كانوا يبحثون عن الأسواق لتصريف منتجاتهم ، فبدلوا كل مجهوداتهم إلى إغراء حكوماتهم باحتلال هذه الأرض الغنية بثرواتها الطبيعية وتعداد سكانها الواسع ، فمصانع النسيج وغيرها من أنواع الإنتاج الصناعي في بريطانيا تتلهّف لوجود مثل هذا الازدحام السكاني لتصريف إنتاجها ومنسوجاتها التي تكدّست بها الأسواق في بريطانيا ، وبناءا عليه قد تمّ الاحتلال البريطاني للهند في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، حسبما ما أذكر ، وأشاع في أوساط هذا الشعب المسالم المغلوب على أمره ، جميع أنواع الاضطهاد والاستغلال ، وقد حاول شباب هذا الشعب البائس مقاومة هذه الظلمات بالأحجار والسيوف والخناجر وبعض الأسلحة النارية التي يتحصل عليها في القليل من الأحيان ، ولكن هذه المقاومة الدامية التي ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من هذا الشعب العريق المغلوب على أمره ، لم تزد المحتل الغاشم إلاّ طغيانا وظلما . وقد كان في تلك الفترة رجل من هذا الشعب الهندي العريق يعيش في أحد الأقاليم في جنوب أفريقيا يزاول مهنة المحاماة ، وعندما تواردت إليه أخبار ما يعانيه وما يكابده إخوانه وبني جلدته من ظلم وظلمات الاستعمار البريطاني ، قرر العودة إلى وطنه والمشاركة في مقاومة تلك الظلمات التي يرزح تحتها شعبه العريق .

فما هي الطريقة التي اتخذها غاندي للمشاركة في تلك المقاومة؟؟ إنه بعد أن شاهد تلك الدماء الغزيرة التي تسيل من بني جلدته عن طريق العنف وسفك الدماء ، بدون أي جدوى أو نتيجة ايجابية بل بالعكس إن الاضطهاد والظلم يزداد حدة ، فقرر قيادة شعبه عن طريق المقاومة السلبية ، أولا عن طريق عدم التعاون مع المحتل في شئون إدارة البلاد ، وثانيا عن طريق الامتناع عن اقتناء أو شراء أي بضائع بريطانية وخصوصا المنسوجات التي ربما كانت السبب الأساسي للاحتلال . والواقع أن هذه المقاومة السلبية قد تكبد غاندي في سبيل نشرها بين بني قومه والتمسك بها ، الكثير من الآلام والمآسي ، فقد كان يمسك عن الطعام الأيام والأسابيع ، وتعرض للسجن والاعتقال عدة مرات ، وكان يحمل مغزله وعنزته في أي مكان يحلّ به وذلك كشعار لمقاومة المنسوجات والمواد الغذائية الآتية عن طريق المحتلّين – المغزل كشعار لمقاومة المنسوجات البريطانية والعنزة التي يتغذّى بحليبها كشعار لمقاومة المواد الغذائية البريطانية – . وقد استمرت هذه المقاومة السلبية لمدة أكثر من عشر سنوات ، عانى فيها الشعب الهندي مع زعيمه العظيم الأمرّين ، ولكن لم يسفك فيها إلا القليل والقليل جدا من الدماء من كلا الطرفين ، وأخيرا اضطرّ المحتلون البريطانيون ، لافتقادهم المنفعة التي كانوا يهدفون إليها في الهند وافتقادهم أي تعاون من الشعب الهندي في إدارة البلاد ، هذا علاوة على ما أصاب سمعة بريطانيا من تدهور في أنحاء العالم . كل هذه الأوضاع قد اضطرتهم أخيرا إلى التسليم لهذه المقاومة الرائعة التي أبهرت الجميع ، كما دعا إلى

هذا التسليم الكثير من المفكرين البريطانيين أنفسهم . وهنا يظهر لنا بجلاء ووضوح ، تحقيقا لقوله تعالى : ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ .

أمّا بالنسبة لجنوب أفريقيا فقد كانت أرضا تزخر بالخيرات من مناجم الذهب والفضة والنحاس والحديد إلى غير ذلك من المعادن ، كما كانت تزخر بأنواع الأشجار المثمرة وغير المثمرة والحيوانات المفترسة والأليفة ، وشعبها هو الشعب الأسود الذي تغلب عليه الطيبة والسذاجة ، ويجهل ما وصل إليه العالم المتمدّن من رقيّ وتقدّم . وعن طريق السياحة والتجارة بدأ الأوروبيون المدنيون يتوافدون على هذه الأرض الغنية بخيراتها ، في بادئ الأمر بالعشرات ثم بالمئات إلى الآلاف وعشرات الآلاف من أسبان وألمان وفرنسيين وإيطاليين وغيرهم من الجنس الأبيض ، وهؤلاء البيض بناءا على تقدمهم العلمي والحضاري صاروا يستخدمون أهل البلاد السود في جميع أغراضهم الشريفة وغير الشريفة ، كما صاروا يستولون على إدارة البلاد والتحكم في مصيرها ومصير أبناء شعبها المغلوب على أمره ، وأقاموا مبدأ التمييز العنصري بأسوأ أساليبه وظلمه وظلماته فالبيض هم الحكّام والأسياد ، أما السود أهل البلاد وأبناء هذه الأرض فكانوا يعاملون بطريقة أسوأ مما يعامل بها العبيد ، وهذا ما سمّي في أنحاء العالم بـــ (الأبرتايد) ، وقد حاول في آخر الأمر هؤلاء السود الذين هم أهل هذه الأرض وأصحابها ، مقاومة هذا الوضع المظلم الظالم باستخدام الحجارة والخناجر كل ما أمكنهم ذلك ، مع إظهار العداوة وعدم التعاون

والرفض لهذه الفئة البيضاء الظالمة الوافدة إليهم من العالم الغربي ، وذلك بكل الوسائل الظاهرة والخفية ، وقد تعرّضوا بسبب ذلك إلى جميع أنواع التنكيل من قتل وسجن واعتقال ، وكان من بين من تعرضوا لهذا التنكيل (نلسن منديلا) نتيجة أحد مواقفه المعارضة ، والتي أدّت إلى الحكم عليه بالسجن المؤبّد ، وقد بقي هذا الإنسان الرائع العظيم ، يعاني آلام السجن والوحدة لمدة حوالي خمسة وعشرين عاما ، وقد ظهرت وتجلّت عظمته في أنه قد استغلّ هذه الوحدة القاسية في سجنه منكبّا على الدراسة والبحث متقدما من مرحلة دراسية إلى أخرى حتى وصل درجة الأستاذية ، وقد قيل إنه وصل إلى درجة الدكتوراة ، وقد كان من جملة بحوثه تتبع المقاومة السلبية التي قادها المهتما غاندي في الهند ، وعليه فإنه أول خروجه من السجن التقى سرّا بإخوانه من رجال المقاومة السود الأفارقة وحثهم على اتخاذ نفس الطريقة في مقاومتهم لهذا التمييز العنصري البغيض (الأبرتايدي) ، أي إلى قوله تعالى في كتابه الكريم : ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ .

وبناء على ذلك بدأ نلسن منديلا (Nelson Mandela) ورفاقه في معاملة البيض المسيطرين بالرفق والأخوة والحنان خصوصا بالنسبة لأطفالهم مما نشر بين أمهات البيض نوع من التقدير والامتنان لأهل البلاد السود ، وشيئا فشيئا انتشرت روح الصداقة والتعاطف بين الفريقين ، وفي أقل من عشرين سنة بدأت بعض مراكز الإدارة والسلطة تسند إلى أهل البلاد من السود ، وحيث إنهم الأكثرية

الساحقة في هذه الأصقاع صارت إدارة وطنهم في أيديهم ، وعاش البيض في جنوب أفريقيا مواطنين عاديين متعاونين مع إخوانهم السود ، وعليه تم انتهاء عهد الأبرتايد إلى غير رجعة . إنه من الواضح لكل ذي قلب أريب أن الذي حقق المعجزتين في الهند وفي جنوب أفريقيا أن قياداتها قد اتخذت في مقاومتهم للاستعمار الظالم النازل بهم الطرق السلبية المسالمة ، وقد كان ذلك في حقيقة الأمر هو تحقيق لقوله تعالى في كتابه الكريم : ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ .

وهناك صورة أخرى من المقاومة السلبية أشار إليها الأستاذ توفيق الحكيم في كتابه (قضية القرن الحادي والعشرين) عن ثورة بعض الشباب الأمريكي ضدّ سياسة قيادات الولايات المتحدة وما ارتكبوه من جرائم بشعة ضدّ الإنسانية في فيتنام والعراق تحت ضغط ودسائس الصهيونية العالمية .

على أي حال أن المقاومة السلبية ليس معناها الخضوع والاستكانة للظلم والظالمين كما قد يستنتج البعض من الأقوال السابقة ، كما أنها في الوقت نفسه ليست ذلك الغضب الهستيري غير المنظم ممتشقا السلاح الناري والتفجير العشوائي في تهور وغير إدراك ، والأدهى هو اتخاذ هؤلاء المقاومين المتهورين في هذا السبيل المعوّج تلك المظاهر الدينية من ذقون ولطع في الجباه ، وهذه المظاهر هي في الواقع بعيدة كل البعد

عن جوهر الدين الإسلامي الذي جاء وانبثق من كلمة السلام . ليت شبابنا في العالم العربي والإسلامي يدرك الآيات القرآنية ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ .

ليت شبابنا يدرك أن الطريقة التي سار على نهجها في تحديد الأعداء أو هذه الطريقة الهوجاء في مقاومتهم ، سوف لن تؤدّي إلا لازدياد الظلمات والمظالم في هذه المنطقة العربية المنكوبة . أعتقد أنه من الواجب على شبابنا ورجال المستقبل أن يدرسوا بتمعّن الطريق التي سار عليها غاندي ورفاقه في مقاومة الاستعمار البريطاني في الهند ، وما سار عليها نلسن منديلا في مقاومة الأبرتايد في جنوب افريقيا ، وما جاء قبل كل شيء وبعد كل شيء في قرآننا المجيد ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ . من الطبيعي أنه لكل حالة ظروفها وأوضاعها ، ومن هنا يجب على شبابنا ومفكرينا أن يدرسوا أوضاعنا من جميع الوجوه وفي جميع انحاء المنطقة العربية والإسلامية دراسة جيّدة ثم اتخاذ الخطوات اللازمة للمقاومة السليمة خطوة خطوة والوصول بهذه المنطقة المنكوبة إلى برّ السلامة والانتعاش . قد يكون الطريق الوحيد لمقاومة ظلمات الاستعمار الأجنبي وظلامه هو العنف وحمل السلاح كما جاء في كتاب (معذّبوا الأرض) للكاتب الدكتور النفساني الزنجي فرانز فانون (Frantz Fanon) . على أي حال فإن لكل حالة لبوسها - كما يقول المثل- المهم أن تصل هذه المنطقة المنكوبة إلى برّ السلامة إنه الحلم الذي حلم به الكثير من الناس العقلاء في هذه

الأوطان ، وبالتأكيد أنه من الممكن تحقيق هذا الحلم إذا وجد الطريق الصحيح إلى ذلك ، وهذا يذكّرني بمقابلتي لزعيمنا العظيم بشير السعداوي في الخمسينات من القرن الماضي ، حيث سافرت إلى بيروت للسلام عليه وتوديعه بعد أن أتممت دراستي في كلية الحقوق بمصر ، فقد سألته أثناء هذه الزيارة ، هل هناك أمل في المستقبل لتستعيد هذه الأمة أمجادها المذكورة في تاريخ سالف الأزمان ؟؟ ، فقال لي ذلك الرجل العظيم : هل ترى يا ولدي هذا البلاط الذي تطأه اقدامنا ، هل يمكن أن ينبت فيه نبات أو شجر ؟؟ طبعا لا ، وهذا هو الذي يبدو الآن في أوضاعنا ، ولكن مع ذلك فإن هذه الأمة ستسترجع أمجادها قبل نهاية القرن القادم بإذنه تعالى !! . إنه حلمنا جميعا ، فهل يمكن لهذه الأحلام أن تتحقق ؟؟

إن أعداء البشرية وأعداء هذه المنطقة – التي هي مهد الحضارات والرسالات السماوية – يحاولون بكل الوسائل الجهنمية الشريرة أن يحولوا دون ذلك الهدف المجيد وأن يعبثوا بعقول شبابها ويشتتوا طريقهم ويذهبوا بهم كل مذهب في هذه المتاهات المعوجّة والصراع والتقاتل فيما بينهم سواء في العراق أو الشام أو اليمن أو ليبيا ، حتى أصبحنا معرّة هذا العالم وأضحوكة الشامتين ، وكل هذا الجنون الهستيري الذي انتشر بين شبابنا وأدّى بنا إلى هذا الوضع المشين وما ترتب عنه من المآسي والآلام ، كان بتخطيط الصهيونية العالمية وأتباعها في أمريكا وبعض دول أوروبا بإندساس عملائهم في زمرة هذا الشباب الجامح باتخاذ الذقون واللطع في الجباه كما هو سائد عند

جماعات الإخوان وداعش وأمثالهم مما اتخذوا من الدين المظاهر الكاذبة ، وتوجيهه هذا التوجيه الخاطئ المدمّر ، كما ذكر ذلك الكثير من المفكرين والكتاب في فرنسا ، وآخر ما ذكر في هذا الشأن ما كتبته الصحفية الأمريكية هيلين توماس (Helen Thomas) التي بلغت من العمر 92 عاما وهي ذات سمعة عظيمة في عالم الصحافة والإعلام كما ذكر ذلك الأستاذ محمد الغيطي في الصفحات التالية .

المرأة التي فضحت أمريكا

محمد الغيطي

2015-11-16

في يوليو الماضي احتفل نادي الصحافة الأمريكي القومي بالذكرى الثانية لرحيل عميدة مراسلي البيت الأبيض ، وأول امرأة تتولى منصب رئيس نادي الصحافة الأمريكي ، والتي عاصرت أهم رؤساء أمريكا ، ورافقتهم وغطت أنشطتهم ، وكانت مع نيكسون في أول رحلة تاريخية للصين ، عام 1971 ، والتي رفضت أن ترافق جورج بوش الابن ، وأعلنت رفضها لعبارته الشهيرة : « إنه يحارب في العراق من أجل الله والصليب » وقالت : « بل إنها حرب الشيطان وليست حرب الله » .

هي هيلين توماس ، التي ماتت في الخامسة والتسعين من سنّها ، وكانت كما قال تلاميذها في حفل تأبينها : « أجرأ صحفية في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية » .

توماس قبل رحيلها بعدة أيام ، كتبت مقالة خطيرة للنشر في كبريات الصحف الأمريكية ، وتم رفضها في حادثة لها للمرة الأولى ، مما جعلها تصرخ في محاضرة بنادي الصحافة قائلة : « اليهود يسيطرون على إعلامنا وصحافتنا ويسيطرون على البيت الأبيض » .

وأضافت ، أنا لن أغير ما حييت ، ما أنا مؤمنة به؛- الإسرائيليون يحتلون فلسطين ، هذه ليست بلادهم . قولوا لهم ارجعوا لبلادكم واتركوا فلسطين لأهلها .

إنني أرى بوادر حرب عالمية ثالثة ، طبخت في مطبخ تل أبيب ووكالة الاستخبارات الأمريكية ، والشواهد عديدة ، ما سمي ثورات الربيع العربي لهدم دول المنطقة ، أول خطوة واحتضان البيت الأبيض للإخوان ، ثم ظهور تنظيم جبهة النصرة 2011 ، بدعم أمريكي ، لا تصدقوا أن واشنطن تحارب الإرهابيين وما يسمون أنفسهم بالجهاديين ، لأنهم دمية في أيدي السي آي إيه (CIA) .

وأضافت ، إنني أرى أن بريطانيا سوف تستحضر روح البريطاني « مارك سايكس » وفرنسا سوف تستحضر روح الفرنسي « فرانسوا بيكو » وواشنطن تمهد بأفكارهما الأرض لتقسيم الدول العربية بين الثلاثة ، وتأتي روسيا لتحصل على ما تبقى من الثلاثة ، صدقوني إنهم يكذبون عليكم ويقولون : « إنهم يحاربون الإرهاب نيابة عن العالم وهم صناع هذا الإرهاب والإعلام يسوّق أكاذيبهم ، لأن من يمتلكه هم يهود إسرائيل» .

هذه كلمات هيلين توماس منذ عامين وأعيد نشرها في ذكراها ، يوليو الماضي ، بالطبع قوبلت بعاصفة هجوم عاتية من اللوبي الصهيوني وطالب نتنياهو بمحاكمتها بتهمة معاداة السامية لكنها رحلت بعد أن قالت الصدق وتلقف كلماتها المخرج العالمي « مايكل مور » في فيلم تسجيلي .

ومور هو من فضح بوش الابن وعصابته من أصحاب شركات السلاح من اليمين الأمريكي مثل « ديك تشيلي » و« كوندليزا رايس » وحصل فيلمه الشهير فهرنهايت 9/11 على أكثر من جائزة .

ما يهمنا وسط الأحداث الأخيرة ، بداية من حادث سقوط الطائرة الروسية التي راح ضحيتها أكثر من مائتي مدني ، ثم حادث بيروت الذي خلف عشرات القتلى والجرحى ثم حادث باريس ، مرورا بحوادث في العريش ، والعراق ، وليبيا ، وسوريا ، أنّ داعش لا يمكن لها أن تقوم بكل هذا العنف البشع بمفردها ، وأن هناك أجهزة استخبارات تدعمها ، وتشيطنها لتشعل المنطقة وتدفعها لأتون جحيم لا ينطفئ ، فتراهم على حافة الفناء .

والفناء هنا يعني تسليم المنطقة للقوى التي خططت ، ودعمت ، وأشعلت لإزالة القائم وزحزحة المستقر وإزالة المعترف به . وما يُؤكد هذا ، كلام « جيمس وولسي » رئيس الاستخبارات الأمريكية السابق الذي قال بوضوح : « المنطقة العربية لن تعود كما كانت ، وسوف تزول دول وتتغير حدود دول موجودة » .

نفس المعنى تقريبا قاله « مارك رجيف » المتحدث باسم الحكومة الإسرائيلية : « المنطقة على صفيح ساخن ، ونحن لن نسكت ، وننسق مع أجهزة الاستخبارات في الدول الكبرى للقضاء على الإرهاب ، وسوف نتدخل معهم لمحاربة الإرهاب حتى لو اندلعت الحروب ، لنضمن حماية دولتنا » .

إذن تتحقق نبوءة « هيلين توماس » تل أبيب وواشنطن خلقت أسطورة التنظيمات الإرهابية في المنطقة وجبهة النصرة هي بذرة داعش التي خرجت من معامل تل أبيب وواشنطن لتشعل المنطقة والعالم ، وتحرك الأنظمة نحو هدف واحد ، وإعادة الترسيم وتوزيع النفوذ والغنائم ، فماذا أنتم فاعلون يا عرب ؟

أعيدوا قراءة مقالات ومحاضرات « هيلين توماس » التي اقتبس منها مقولة « الغرب يعيش على غباء العالم الثالث والدول الفقيرة والوحيد الذي أرعب الغرب ، كان عبد الناصر بإطلاقه مشروع القومية العربية » .

هل يصلح هذا الحل ، في وقتنا مع كل المتغيرات الدراماتيكية؟ نعم فقط جربوا أن تتوحدوا وتكونوا على قلب رجل واحد . إنه حلم ، لكنه ليس مستحيلا ، ومرة أخرى اقرأوا هذه السيدة التي هاجمها الصهاينة ، وحاربوها ، لكنهم لم يكسروا قلمها ، إنها «هيلين توماس» .

محمد الغيطي

إنه مقال جيّد وموفّق كل التوفيق وفي الصميم ، ويعبّر عن الأوضاع المربكة التي كلها دماء وضغائن سادت المنطقة العربية ، خصوصا ما جاء في مواقف السيدة هيلن تومس وما قالته ونشرته فيما يتعلق من الأهداف الشريرة الظالمة التي يسعى اليها الغرب بالتوجيهات السرية للصهيونية العالمية ، ولكننا يجب علينا في الوقت نفسه أن ننتبه وندرك التشويش الذي أصاب المقال والذي يقع فيه بعض الكتاب . إن ما قالته السيدة هيلين توماس ، في مقالة الأستاذ الغيطي صحيح وواقع لا شك ولا ريب في ذلك وهو مهم جدا جدا ، ولكن إشارة الكاتب إلى ما قالته الكاتبة بخصوص عبد الناصر وتعظيمه لا لسبب وجيه ولكن لندائه بالقومية العربية ، فهذه الإشارة في المقال تعتبر من الأخطاء التارخية التي يقع فيها - بحسن نية - بعض الكتاب ، فهذا

الدكتاتور قد يكون حسن النية وربما قام نظامه ببعض الأعمال الجيّدة ، ولكنه في الواقع وفي الحقيقة كان هو السبب في انتشار الضغائن بين الدول العربية والذي دمّر فيه التعليم والقضاء كما فعل أيضا معمر القدافي وأمثالهم من أصحاب الحكم الفردي الدكتاتوري ، فالنتيجة البارزة والواضحة من هذه السياسة هي الدمار الذي أصاب المنطقة العربية لمدة سبعين سنة تقريبا ، ولا زلنا نتخبط في ويلاتها . فالشعب العربي في أرجاء هذه المنطقة ليس في حاجة إلى تذكيره بقوميته ووحدته فهي متغلغلة في أعماق روحه ووجدانه ، ولكنه في أمسّ الحاجة إلى التعليم المنظم الراقي والقضاء العادل للوصول إلى هذه الأهداف ، فالتاريخ والواقع ينبؤنا أن الشعوب الناهضة المتقدمة هي التي وضعت كل اهتمامها في هذا الطريق ... التعليم والقضاء لتحقيق وحدتها وآمالها القومية ، ولنا في نهضة ماليزيا من كبوتها خير دليل على أهمية هذا الطريق ، التعليم والقضاء .

على أي حال ليس لنا في آخر الأمر إلاّ أن ننبذ التشاؤم ونقبل على الحياة بروح متفائلة يسودها الأمل في مستقبل مجيد لهذه الأمة ، ولنا في تاريخ الشعوب والأمم عبرة نعتبر بها ، فالتاريخ ينبّؤنا أن الكثير من الشعوب والأمم في أوروبا قد مرّت بفترات طويلة ، قرونا وأجيالا من التردّي والانحطاط ، ثم وجدت الطريق السويّ إلى النهوض والازدهار ، فالتاريخ يحدثنا كيف كانت أوروبا في معظم أرجائها ، تعيش تحت كلكل القساوسة ورجال الدين الذين اتخذوا من هذه المظاهر الدينية وسيلة لاستغلال شعوبهم والسير بها في مسارب

التخلف والانحطاط ، حتى قامت ثورات الشباب في القرن الثاني عشر والثالث عشر فأزاحت سلطات الكنيسة ورجال الدين ومن ثمّ بدأ التقدم وازدهار الأفكار الحرة التي أدّت أخيرا شيئا فشيئا إلى النهضة الغربية في أوروبا وأمريكا ، وبالرغم مما أصيبت به من الحكم الدكتاتوري في بعض أرجائها في القرن التاسع عشر والقرن العشرين فإنها حققت أخيرا الازدهار المنشود .

إن حياتنا سلسلة من العبر لمن أراد أن يعتبر ، وقد قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ . وقد كتبت في السبعينات من القرن الماضي مقالا في مجلة المحامي شيئا من هذا القبيل بعنوان (الحقيقة) لعل من المفيد نشره من جديد .

الحقيقة

لقد ذهبوا ..... شفيق الرشيدات ..... مصطفى البرادعي ..... أمين الشبلي ..... عبد الكريم بن جلول .

لقد ذهبوا .... كامل الهوني ..... مختار البكوش ..... يوسف الرعوبي ..... سالم سليم .... شعبان عريبي .

وكان لا بد أن يذهبوا كما ذهب من قبلهم ، إبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، وسقراط ، وبوذا .... والنمرود ، وفرعون ، ونيرون ، وهولاكو ، وهتلر ، ووايزمان ..... إلى آخر السلسلة من الأسماء والأنماط . . . البعض منهم قد تحلل تماما وصار ترابا كهذا التراب الذي تطؤه أقدامنا في روحاتنا وغدواتنا ، والبعض الآخر في طريقه إلى أن يصير كذلك!!!

هذه هي الحقيقة التي لا استثناء فيها ، ولا يمكن تغليفها بالأهواء والأباطيل .... الحقيقة الدامغة ، القاطعة ، الحاسمة ، والقديمة قدم هذه الأرض بما فيها ومن فيها ....

الحقيقة التي لم يستطع أي مخلوق في هذا الكون ، من يوم أن وجد هذا الكون أن يدحضها ، أو يأتي بما يخالفها ... الحقيقة التي حطمت كبرياء المتكبرين ، وضحكت من طموحات الطامحين ، واستهزأت بغرور المغرورين .

الأخيار والأشرار يذهبون ... الملوك والأباطرة والعامة يذهبون ... الأغنياء والفقراء ... العباقرة والأغبياء ذاهبون ... ما غاص في

البحر ، وما طار في الجوّ ، وما دبّ على الأرض فإلى ذلك المصير المحتوم ... ألم تقل السماء بصفة القطع والحسم : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ ؟؟!! .... إنها الحقيقة .

.... ومع ذلك فهذه الصيرورة من التراب وإلى التراب ، لم تذهب هباء ، أما الروح فقد استقل بعلمها الخالق ، ويبقى بعد ذلك لنا نحن بني البشر ذلك المعنى السامي المشرق النبيل الذي نسميه الموعظة ، وإذا أغرقنا في تبسيطه ندعوه التأمل .

وللمتأمل أن يرى أن رحلة البشرية وإن كانت قاسية وأليمة ، وتجتذبها عوامل المدّ والجزر ، فإن مؤشراتها تدلّ على أنها في صعود مستمرّ ، فالماضي قد ترك للحاضر والمستقبل كتبا مقدسة ، وفلسفات قيّمة ، وتعاليم ومبادئ رائعة ..... خطوطا مستقيمة على الطريق تحنّ لها النفس ، ويهفو لها الوجدان ، ويحتضنها الفكر ، ولا يخطئها العقلاء . وقد بيّن لنا الماضي أيضا أن الأصنام ستتحطم حتما ، والطواغيت ستزول لا محالة ، والطغيان لا بد له من نهاية : ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وهذه هي الحقيقة مرة أخرى .

الناس سيذكرون باستمرار ، وعلى مدى الأجيال أولئك الرجال الأفذاذ الذين استطاعوا أن يخطّوا للبشرية بدمائهم ، وآلامهم ، وأشجانهم ، خطا ساطعا ، مشيرا إلى الطريق . أولئك الرجال الذين رفضوا الحكم والجاه ، مؤثرين الكرامة والشرف ،

وواجهوا العسف والطغيان ، في شجاعة واستبسال ، وتحملوا ويلات المرض والتشرد ، في سبيل الحق والحرية ،

إننا عندما ننشر في هذا العدد البيان العالمي لحقوق الإنسان ، والاتفاقية الدولية لإزالة ومعاقبة جريمة التفرقة العنصرية ، نعتبر هذا الوهج الذي يلقي نوره وسناه على الطريق ، هو النتيجة الحتمية لما قاساه أولئك الرجال الأفذاذ من عذاب وآلام .

ومرة أخرى ... ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ .

إن هذه هي حقيقة رحلة البشرية ، والتاريخ عبرة لمن أراد أن يعتبر ، وعلى شبابنا ورجال المستقبل أن يستفيدوا من هذه الدروس وينقذوا امتهم من الارتباك والظلام الذي تعيشه بسبب هذه المظاهر الدينية الزائفة ، وينشروا في كل مكان جوهر رسالة الإسلام التي هي روح السلام والمحبة ، إن الإسلام في معانيه الجوهرية ليست هذه المظاهر التي يتشبث بها البعض من ذقون طويلة ولطع في الجباه ، وليس أيضا مجرد المظهرية في الصلاة والصوم والحج والزكاة ، وكما يقول المثل ، صام وصلّى لأمر كان يبغيه ، أو قول الآخر الذي قيل له فلان رجل طيّب لا يفوته صوم أو صلاة ، فقال لهم : لا يغرّنّكم ذلك فالصلاة عادة والصوم جلادة ، هل جرّبتموه بالمنفوش والمنقوش؟؟!! (يعني بذالك هل جرّبتموه فيما يتعلق بالتنافس على المال والثروة ؟؟) . إن الله بحكمته قد أوجب هذه العبادات على البشرية كوسيلة وليست غاية في ذاتها ، فالله غني عن أن يعبده البشر أو لا يعبدوه ، ولكن كل

هذه العبادات إنما هي وسيلة لتهذيب النفس البشرية وإرشادها إلى الطريق السويّ وليست مجرد عادة أو مظهرا من المظاهر ، فالبشر عندما يتوجهون سواء كانوا في الشمال أو الجنوب أو الشرق أو الغرب في اتجاه واحد ، إلى الكعبة المشرفة خمس مرات في اليوم ، مستحضرين خالق هذا الكون الذي هو الخير كله والحق كله والجمال كله . في قلوبهم ووجدانهم وعقولهم ، إنما يجعلهم كل ذلك مرتبطين جميعا في وحدة مؤكدة بهذه المعاني الإنسانية الرائعة ، ونفس هذه المعاني الإنسانية تشعّ على جبل عرفات في الحجّ عندما يجتمع الحاكم والمحكوم والغني والفقير والأبيض والأسود والأمير والزبال في زيّ بسيط واحد هو إزار في وسطه وإزار على كتفيه ، وكل ذلك في رحاب الخالق الحق والعدل والجمال (لبّيك اللهم لبّيك) هل يمكن أن توجد صورة إنسانية تجمع البشر أروع من هذه ؟؟؟ تجمعهم أبيضهم وأسودهم ، غنيّهم وفقيرهم ، والحاكم والمحكوم ، في أخوّة إنسانية أكثر من رائعة ، وكذلك الأمر في الصوم حيث يجمعهم ألم الجوع والعطش ثم فرحة الإفطار في وقت واحد ، أليس كل ذلك هو التعبير العميق عن الأخوة الإنسانية ؟؟؟ إن هذا الطريق الرائع الذي فرضه الخالق لو فهمناه ووعيناه يمكن تحقيق كل معاني الازدهار والتقدم الذي تسعى إليه الشعوب الناهضة . وأعتقد أنه على قياداتنا وشباب المستقبل أن ينشروا هذه المبادئ والأفكار بجميع الطرق والوسائل ، في المدارس وفي اللقاءات الشعبية وفي خطب الجمعة في المساجد ، وبهذا الطريق السويّ المبهر يمكن حتما ان تتبلور الأفكار وتحقق الاعمدة

الأساسية للتقدم والازدهار . فهل نحـن فـاعلون ؟؟؟؟ وبهـذا الطريـق متمسّكون ؟؟؟

اللهم رب هذه الأمة أنر طريقها وأزل عنـها هـذه الغمـة ، إنـك على كل شيء قدير .